

(٤)

الله هو العلي الأعلى

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛ قال رحمه الله ((وإذا كان كذلك: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وعليّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠]، {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥] {أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ • أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الملك: ١٦-١٧]، {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٨]، {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج: ٤]، {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة: ٥]، {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مَن فَوْقَهُمْ} [النحل: ٥٠]، {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [يونس: ٣]، في ستة مواضع، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، {يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ • أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا} [غافر: ٣٦-٣٧]، {تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢]، {مُنزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ} [الأنعام: ١١٤]. إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة.

[تواتر أدلة السنة على إثبات صفة العلو]:

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى. مثل قصة معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقول الملائكة الذين يتعاقبون [فيكم] بالليل والنهار، فيخرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم. وفي الصحيح في حديث الخوارج: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً».

وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره: «ربنا الله الذي في السماء تقدر اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع». قال صلى الله عليه وسلم: «إذا اشتكى أحد منكم، أو اشتكى أخ له، فليقل: ربنا الله الذي في السماء...» وذكره. وقوله في حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه». رواه أبو داود. [وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود، وابن ماجه، والترمذي، وغيرهم، فهو مروى من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدر في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن موصولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة». وقوله في الحديث الصحيح: «إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي». وقوله في حديث قبض الروح: «حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله» إسناده على شرط الصحيحين.

وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه:

شهدتُ بأن وعدَ الله حق... وأنَّ النارَ مثوى الكافرينا

وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طاف... وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفى الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه،

وقال: «آمن شعره وكفر قلبه»:

مجدوا الله فهو للمجد أهل... ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبا الأعلى الذي سبق الناس... وسوى فوق السماء سريرا

شرجعًا ما يناله بصر العين... يرى دونه الملائكة صورا

[وقوله في الحديث الذي في السنن: «إن الله حيي كريم؛ يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهم صفراً»، وقوله:

«يمد يديه إلى السماء: يارب يا رب..» إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو أبغ المتواترات اللفظية والمعنوية،

التي تورث علمًا يقينًا من أبغ العلوم الضرورية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين

أن الله سبحانه فوق العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم، في الجاهلية

الإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئات، أو ألوفاً...))

وبهذا يظهر الفرق بين طريقة السلف وطريقة الخلف. فإن السلف أطبقوا على إثبات علو الله. وعلو الله ﷻ ثلاثة أنواع: علو ذات

وعلو قدر وعلو قهر. وإن شئت قل نوعان: علو ذات وعلو صفات. لأن علو الصفات يشمل علو القدر والقهر. لكن على

التقسيم الثلاثي. علو الصفات المراد به أن صفات الرب ﷻ صفات علا قد بلغت الغاية في الكمال. فهذا لا ينازع فيه مسلم.

لا يمكن أن ينازع مسلم أن صفات الله ﷻ بلغت الغاية في الكمال وأنه ﷻ له المثل الأعلى. علو القهر يعني أن الله ﷻ قد قهر

جميع عباده كما قال ﷻ { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام: ١٨] وهذا أمر لا يمكن أن ينازع فيه مسلم. وإنما

وقع الخلاف بين أهل القبلة في علو الذات. فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله ﷻ بذاته فوق سماواته مستو على عرشه بائن

من خلقه - يعني منفصل - وليس فيه شيء من خلقه وليس في خلقه شيء منه. بهذا الوضوح وهذه الصراحة كل سني يعتقد بأن

الله ﷻ فوق الكون وأنه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وأنه لا يمكن أن يعلوه شيء سبحانه بل هو العلي الأعلى. فالعلو

عند أهل السنة والجماعة صفة ذاتية لا يمكن أن تفارق الله ﷻ. هو العلي الأعلى المتعال. وقد دل على ذلك أنواع الأدلة الكتاب

والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

أما الكتاب والسنة فكما سمعتم فيما تلا الشيخ رحمه الله تنوعت آيات الكتاب والسنة تنوعًا عجيبًا. فتارة يكون بذكر العلو

صريحًا كقوله ﷻ { سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } (الأعلى: ١) { عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ } (الرعد: ٩) { وَهُوَ الْعَلِيُّ

الْعَظِيمُ } [البقرة: ٢٥٥]. وتارة تكون بذكر الفوقية { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (النحل: ٥٠) { وَهُوَ

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } (الأنعام: ١٨) ولا شك أن الفوقية تدل على العلو. وتارة تكون بذكر صعود الأشياء إليه

{ تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } (المعارج: ٤) { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } (فاطر: ١٠) ولا شك أن الصعود لا يكون إلا إلى أعلى. وتارة تكون بذكر نزول الأشياء منه { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } (الشعراء: ١٩٣) { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } (النحل: ١٠٢) فنزول الأشياء منه دليل على علوه؛ لأن النزول لا يكون إلا من أعلى لأسفل. تارة تكون بتعبير الرفع، والرفع لا يكون إلا لأعلى كقوله عن عيسى { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } (النساء: ١٥٨) وكقوله ﷺ { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } (فاطر: ١٠). فالرفع لا يكون إلا لأعلى، ولا يفهم العربي منها إلا هذا المعنى أن الله ﷻ في العلو. ومن تنوع دلالة الكتاب والسنة وصفه ﷻ لنفسه بأنه في السماء { أَمَّنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ } (الملك: ١٦) ومعناها أي على السماء. إذا اعتبرنا "في" تدل على الظرفية فحينئذ نقول أن المراد بالسماء العلو { أَمَّنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } يعني أمنتهم من في العلو لأن كل ما علاك فهو سماك. ولو قلنا أن السماء هي السماء المبنية أي السقف فإنه يتعين أن نقول حينئذ أن "في" بمعنى على وليست ظرفية، وليس هذا تأويلاً بل في لغة العرب أن تتناوب حروف الجر فتأتي "في" بمعنى على كقوله مثلاً { فَامَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (الملك: ١٥) يعني على مناكبها، وليس المراد أن يسيحوا في الأرض. وكذلك قول فرعون { وَأَلْصَقْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ } (طه: ٧١) يعني على جذوع النخل؛ لأنه لا يمكن أن يدخل في أحواف جذوع النخل، ليس هذا. إذن تأتي "في" في اللغة بمعنى على. فهذا من تنوع الأدلة. ومن تنوع أدلة الكتاب والسنة أيضاً على ذكر العلو ذكر الاستواء؛ لأن استوى في لغة العرب بمعنى على واستقر. ففي ستة مواضع { ثم استوى } وفي موضع يقول { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه: ٥] كلها أتت بهذا اللفظ. فهذا أيضاً من دلائل إثبات العلو. هذه جملة من أنواع دلالة الكتاب والسنة على إثبات العلو وقد ذكر أحاديثاً كثيرة عامتها صحيح منها حديث الجارية ومنها حديث الخوارج "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء" وهو متفق عليه والشاهد منه قوله (وأنا أمين من في السماء) يعني الله ﷻ. واستدل بحديث الرقية وشيخ الإسلام يذكره كثيراً وكثير من المحدثين يضعفه وشيخ الإسلام يحتمله ورواه أبو داود (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع) والشاهد قوله (الذي في السماء) وشيخ الإسلام استدل به في الواسطية وفي كثير من المواضع في كتبه وكأنه رحمه الله يرى أنه يصح بمجموع طرقه. واستدل بحديث الأوعال المشهور. وصحح ابن القيم الحديث من رواية ابن عباس وضعفه من رواية أبي هريرة كما ذكر ذلك في فك الأقفال على سنن أبي داود حديث الأوعال المشهور والشاهد قوله (والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه) وأما حديث الجارية فمعلوم أنه صحيح رواه مسلم وكذلك أيضاً مما يستدل به حديث (إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش) فهذا يدل على علوه ﷻ. وذكر العروج جاء أيضاً في قصة عبد الله بن رواحة التي تضعف وإنما رواها الشيخ من باب الاستئناس وإلا فإن سندها ضعيف. وكان على فرض صحتها أن عبد الله بن رواحة وطء جاريته فغضبت زوجته ولما أنكر ذلك قالت اقرأ القرآن فأنشد هذه الأبيات ليوهمها أنه يقرأ القرآن. ففيها نكارة في متنها وضعف في سندها ويغني عنها ما تقدم. وأما حديث أمية بن الصلت فأما لفظ (آمن شعره وكفر قلبه) فضعيف لكن الحديث في مسلم فإن النبي ﷺ قال للشريد بن السويد هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئاً؟ قلت: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً فقال: هيه، يعني يستزيده، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت، فقال: إن كاد ليسلم. وفي رواية عند مسلم فلقد كاد يسلم في شعره. وأيضاً

حديث "إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً" وإنما يكون الرفع لأعلى. فكل ذلك يا كرام يدل على توافر دلالة الكتاب والسنة وتنوعها من أوجه كثيرة على إثبات العلو. فقارئ القرآن والسنة لا بد أن يفهم أن الله ﷻ في العلو وأن يثبت علو الذات. أشار الشيخ لدليل آخر وهو دليل الفطرة قال: (كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام إلا من اجتالهم الشياطين عن فطرت) بالفعل شعوب الأرض كافة يدركون ووقع في قلوبهم أن الإله المعبود إنما يكون في السماء. حتى البهائم يقال أنها إذا ضربت رفعت طرفها للسماء. كل بني آدم مفطورون على هذا ولا أدري هل الشيخ سيذكر قصة أبي المعالي أم لا، قصته مع الهمداني حينما حضر مجلساً لأبي المعالي، قال الجويني مقررًا كان الله ولا شيء. وهي جملة صحيحة فالله تعالى أول لا قبله شيء. ثم أردف قائلاً: وهو الآن على ما كان عليه يعرض بماذا؟ يعرض بنفي الصفات الفعلية التي منها الاستواء، يعني يريد أن يقول أنه لم يطرأ شيء على الله بعد أن كان، يعني لم يستو فهم أبو جعفر الهمداني مراده وقال: يا إمام دعنا من ذكر العلو والاستواء وأخبرنا عن هذه الضرورة التي يجدها أحدنا في قلبه، ما قال عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة بطلب العلو ولا يلتفت بمنة ولا يسرة!! فجعل الجويني يلطم رأسه ويقول حيرني الهمداني. لم يجر جواباً ولم يستطع دفع دليل الفطرة. وهذا أمر تجذونه في قلوبكم يراكم الله. حينما يستحضر الإنسان ذكر ربه أو يدعو ربه، أين يسافر قلبه؟ بمنة يسرة أمام تحت؟ يسافر لأعلى تلقائياً، يحس بأن ربه فوقه. هذا أمر فطري فلماذا استدل بدليل الفطرة.

ثم استدل بنوع رابع من الأدلة ((ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفا، ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة والتابعين، ولا عن أئمة الدين. الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف. حرف واحد يخالف ذلك، لا نصاً ولا ظاهراً. ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه [بذاته] في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة))

إذن هذا دليل الإجماع وسيذكر لاحقاً من أدلة الإجماع. فالإجماع دليل برأسه. السلف أجمعوا على هذا حتى قال الأوزاعي: كنا نقول التابعون متوافرون إن الله ﷻ فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات. وقالها بعد ظهور جهم كما سيذكر الشيخ لاحقاً. يعني بعد أن فرغ الشيخ من الأدلة الوجودية وهي الكتاب والسنة والإجماع والفطرة وبقي أن نبين الآن العقل، ذكر الدليل العدمي وهو أنه لا يؤثر عن أحد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم بإحسان حرف واحد في التأويل والتحريف أبداً. كلهم قد برأهم الله ﷻ من هذه الشائبة. فلم يحفظ عن أحد من السلف تأويلاً أو تحريفاً. وما ادعي في ذلك فالجواب عنه مبسوط في مواضعه. قد يدعي شيء من المدعين شيئاً من التحريفات أو ينسبونها لكنها لا تثبت بحمد الله. فلم يحفظ عن أحد من السلف شيئاً من التأويل الذي ادعاه المتأخرون. أقول أن العقل أيضاً يا كرام دل على إثبات علو الله. كيف ذلك؟ العقل يقطع بأن الله ﷻ وأن الإله المعبود ينبغي أن يوصف بالكمال. هكذا يقطع العقل. لا يمكن أن يقول العقل أن الإله المعبود يتصف بالنقص. والعقل أيضاً يقطع بأن العلو كمال، والسفل نقص. وبالتالي فإن الإله المعبود مستحق لوصف الكمال وهو العلو ومنزه عن ضده وهو وصف النقص. من وجه آخر واهب الكمال أولى بالكمال. فكما أن العلو يعد في نظر الآدميين نوع من الكمال بأن يكون الإنسان يتخذ مثلاً المواضع المشرفة والمطللة والمرتفعة وغير ذلك فواهب الكمال أولى بالكمال. فهذه أنواع الدلالات الخمس كلها توافرت على إثبات علو الله ﷻ. ثم إن الشيخ رحمه الله لما أثبت هذه الأدلة الوجودية ونفى الأدلة العدمية أن يكون أحد من

السلف أول شيئاً مما أثبت الرب لنفسه برأهم من المقالات الباطلة فقال ((ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه [بذاته] في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا إنه لا متصل ولا منفصل ، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها؛ بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم مجمع حضره الرسول صلى الله عليه وسلم جعل يقول ((ألا هل بلغت؟)) فيقولون نعم. فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول ((اللهم اشهد)) غير مرة وأمثال ذلك كثيرة.)).

إذن بين الشيخ رحمه الله المقالات الباطلة في هذا الباب وحكاها وهي مقالات الجهمية وأضربهم فقال ولم يقل أحد منهم قط – يعني السلف – أن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش. هذه المقالة يقولها النفاة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة. يقولون أن الله ﷻ ليس في السماء ويقولون ليس في السماء ولم يقل السلف إنه ليس على العرش بل يقولون ما قاله الله وأنه على العرش. أيضاً من المقالات الباطلة التي قال بها حلوية الجهمية أنه ذاته في كل مكان. الجهمية أوائلهم حلوية وأواخرهم عدمية. كيف أوائلهم كانوا يقولون أن الله في كل مكان وأن الأمكنة إليه سواء كما قد تسمعون أحياناً كمن يقول ربنا في كل مكان. تعالى الله عن ذلك. بعلمه في كل مكان. أما ذاته سبحانه فلا يجوز أن يقال أنه في كل مكان، هذا يعني اعتقاد الحلول وأنه في جميع الأمكنة. والله ﷻ فوق سماواته مسو على عرشه. ثم إن متأخريهم صاروا ينفون كل شيء ويقولون لا داخل العالم ولا خارجه ولا أمام ولا خلف ولا يمين ولا شمال ولا فوق ولا تحت ولا محاذي ولا بجانب ولا محاذي ولا ولا ولا ... وجملة من النفي. حتى قيل لو أريد أن يفسر العدم بشيء ما فسر بأوضح من هذه الجمل. لو قلتم لا داخل العالم ولا خارجه ولا أمام ولا خلف ولا يمين ولا شمال ولا فوق ولا تحت ولا محاذي ولا بجانب ولا محاذي. هذا يعني بالاضطرار العدم أن ليس ثم إله وهذا مؤداه في الواقع. وهي عبارة يقولونها ليس متصل ولا منفصل. ويبلغ بهم الحال لأن يقولون لا يجوز أن يشار إليه حسيًا وأن من أشار إليه كسرت إصبعه. سبحانه الله. أليس النبي ﷺ في أعظم موقف وبين يديه مائة ألف أو يزيدون قال (وأنتم تسألون عني) يخاطب أهل الجمع يوم عرفة (فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك بلغت رسالات ربك وأدبت الذي عليك، فيقول اللهم اشهد – يرفع إصبعه إلى السماء وينكت بها على الناس ثلاثاً اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد) إلى من يشير؟ اللهم، يناجي ربه ويشهده على الناس أنه قد بلغ رسالات ربه. ومع ذلك هؤلاء الحمقى يقولون لا تجوز الإشارة الحسية وأن من فعل ذلك يقطع أو يكسر إصبعه.

((فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصًا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز على الله، ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده ولا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصًا ولا ظاهرًا، حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة، يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف، أو كل فاضل أن يعتقدوها. لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلمون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أُحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه

الكتاب والسنة نصًّا أو ظاهرًا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين.))

هذه لوازم فاسدة تلزم على هذا، يعني إن كان ما يقوله هؤلاء المتأخرون من نفي علو الله ﷻ واستوائه على عرشه حقًا إذن لقد كان الكتاب والسنة يدلان على خلاف الحق ولقد كان النبي ﷺ لم يبين الحق للأمة وهذه لوازم لا يمكن أن يلتزم بها مؤمن بالله ورسوله. حاشا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن تدلان على خلاف الحق، لكن هذا الزعم الذي زعمه هؤلاء المتأخرون ومارسوا فيه إرهابًا فكريًا "احذروا إياكم هذا يؤدي لكذا وهذا يؤدي للتجسيم" فيقول الأتباع ماذا نقول؟ المراد بكذا كذا ويلقنون هذه الكلمات والجمل. إذن لقد كان ترك الناس بلا كتاب وسنة أهدي وأرحم، ما انتفعوا بالكتاب والسنة إذا كان الكتاب والسنة لا يدلان نصًّا ولا ظاهرًا على هذا الحق المزعوم. لقد كان تركهم بلا كتاب ولا سنة خير لهم وأفضل من أن يقعوا في اللبس. فهذا في الحقيقة هو مؤدى وهو لازم ما يدعيه هؤلاء المتكلمون.

واعلموا يركم الله أن أسباب قبول الخبر ترجع إلى أمور أربعة: العلم والصدق والبيان والنصح. إذا توافرت هذه الأمور وجب قبول الخبر وإذا اختلفت فإن الخبر عرضة للرد. كيف؟ أنت لا تقبل خبرًا من الأخبار إلا أن يكون المخبر به عالمًا فإن كان جاهلاً لم تقبل. طيب ربما كان عالمًا لكنه كاذب وليس بصادق، حينها لا تقبل خبره. ربما كان عالمًا وصادقًا لكن ليس عنده من البيان والفصاحة ما يعرب به عن علمه وصدقه فحينئذ يحتمل أن يكون قد حملته الفهاهة والعي أن يقول خلاف ما أراد. أيضًا ربما استجمع هذه لكن كان عنده غش وتلبيس فهو يسوق الكلام بطريقة فيها تلبيس وإلغاز وتضليل للمخاطب فحينها لا يقبل خبره. إذا نظرنا في كلام الله وكلام رسوله ﷺ ماذا نجد؟ نجد أن الله ﷻ أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قائلًا وأحسن حديثًا وهو ﷻ يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وإذا نظرنا لكلام نبيه ﷺ وجدنا أن نبينا ﷺ أعلم الناس بربه وأفصحهم قائلًا. لا ينطق عن الهوى. وأفصحهم بيانًا ثم هو أنصح الأمة للأمة. فمع هذه المسوغات لا يبقى لأحد حجة وعذر في رد كلام الله ﷻ وكلام نبيه ﷺ ونقول لهم بمليء أفواهنا أنتم أعلم بالله من الله؟ أنتم أعلم بالله من رسوله؟ أنتم أصدق من الله قائلًا؟ أنتم أصدق من محمد ﷺ؟ أنتم أحسن من الله حديثًا أنتم أفصح من رسول الله ﷺ؟ أنتم أنصح للأمة من نبيها ﷺ؟ لا يمكن أن يقولوا نعم أو بلى، فحينها يلزمهم قبول أي نوع من أنواع التحني.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.